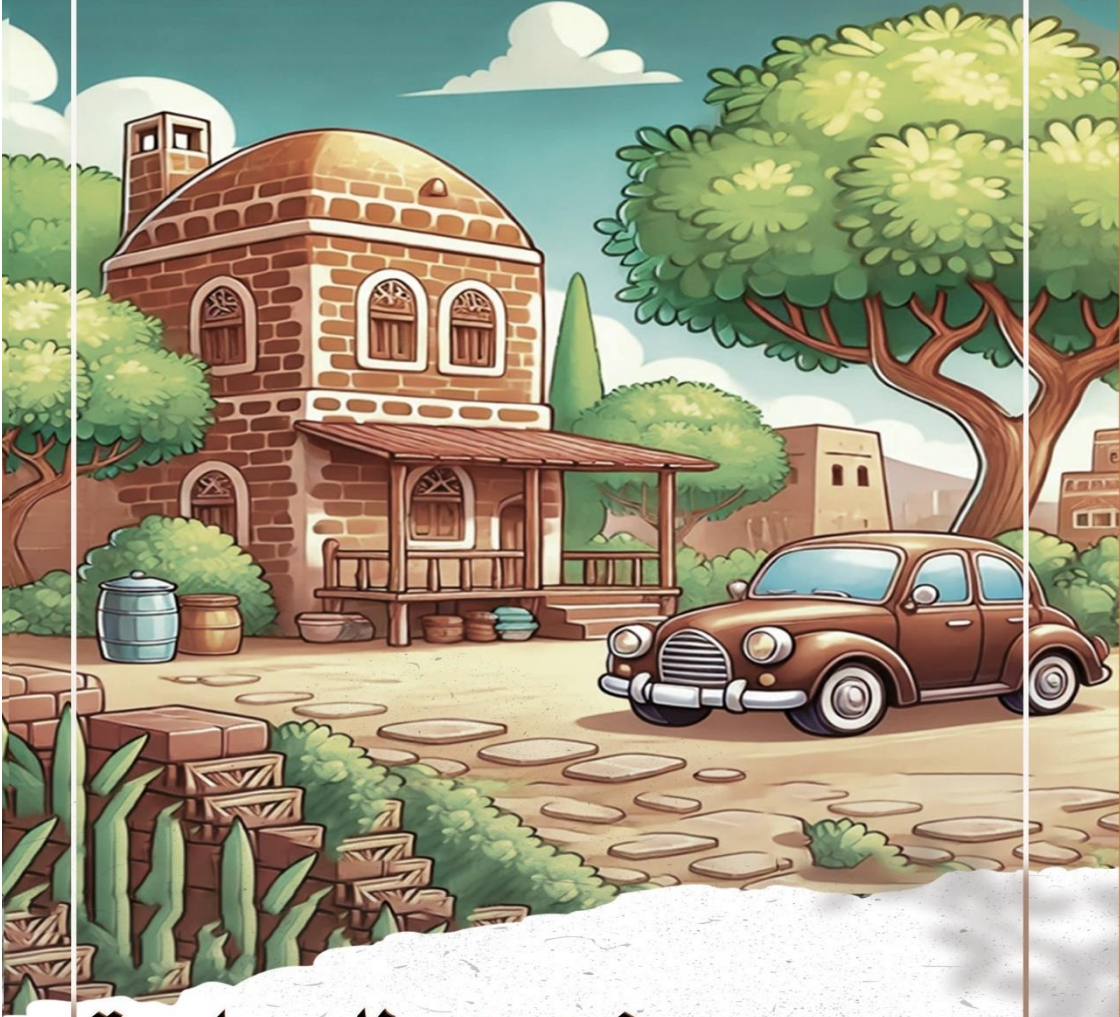


محمد مصطفى العمراني



زمن للبراءة

قصص

زمن للبراءة



اسم الكتاب: زمن للبراءة

اسم الكاتب: محمد مصطفى العمراني

نوع العمل: قصص

الرقم الدولي EBIN: 16-1-362-250204

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2025م / 1446هـ



دار بسمة للنشر الإلكتروني



00212771814934



دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)



Darbassma1@gmail.com



المملكة المغربية

كل الحقوق
محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلا بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

زمن البراعة

قصص

محمد مصطفى العمراني





الإهداء

إلى المبدعين اليمنيين الذين تشبثوا في المنافي سلام عليكم
فردا فردا..

أهديكم هذه المجموعة القصصية.

وأسأل الله أن يعيدكم إلى الوطن ونحن وإياكم والوطن
بأحسن حال.



زمن للبراءة

من يشرب كأساً من الماء على جناح خفاش يحفظ القرآن كاملاً ولا ينساه!

سمعت هذا القول في طفولتي فذهبت إلى الخرابة التي بجوار منزلنا غير عابئ بجدرانها التي يمكن تنهدم فوقي في أي لحظة، لم أخف مما فيها من زواحف وظلام، سمعت مرارا أنها مسكونة بالجن، حكايات كثيرة سمعتها عن جنيات تلك الخرابة وأولادهن، ورغم ذلك كنا كثيرا ما نذهب نحن الأطفال ونلعب بجوارها!

الخفافيش تسكن زواياها المظلمة، رأيتها مرارا وهي تتدلى من السقوف وتغط في نوم عميق، وحين نوقظها تطير مرتبكة وتصطدم بنا.

أمشي بحذر يتبعني أخي الأصغر، كنا قد اتفقنا بأن عليه أن يصبوب ضوء الكشاف نحو السقف فجأة فيما سأقوم بالإمساك بالخفاش، بعد عدة محاولات أمسكت بأحدها، غمست جناحه في الإناء وسكبت عليه الماء، بعد دقيقة أطلقته ليعود إلى نومه!

شربت الماء وانتظرت حدوث المعجزة الذهنية العجيبة حيث سيقوم الماء المبارك الذي شربته بتنزيل المصحف كاملا في ذهني خلال دقائق، لكن شيئا من ذلك لم يحدث!

هزرت رأسي مرارا حتى يشتغل ذهني لكن العملية فشلت، لم تمض سوى ساعة حتى شعرت بالآلام شديدة في معدتي، وغثيان، ولم تهدأ آلامي إلا بعد أن تقيأت كل ما في بطني!

بعد أيام حين كنت جدتي تمضغ القات¹ وتدخن بالمداغة "الزجيلة" سألتها: صحيح يا جدة الذي يشرب الماء على جناح الخفاش يحفظ القرآن؟
- من قال هذا الكلام؟ هذه خرافات.

وأضافت

-الذي يشرب ماء زمزم وينوي حفظ القرآن هو من يحفظ القرآن خلال شهر.

- وأين ماء زمزم؟

- في مكة

¹ القات أغصان منبه خفيف تمضغ في اليمن وبعض البلدان.

- وأين مكة هذه؟

- في السعودية

- وأين السعودية من قريتنا؟

- السعودية بعيد

-أقدر أروح بكرة وأرجع؟

-أوف منك ومن أسئلتك!

ضجرت جدتي مني وصاحت بأمي

-شلي ابنك هذا المزعج بعيد وعمري لي البوري.

نهرتني أمي:

- روح العب مع الأطفال، ولا تشغل جدتك.

حين خرجت كان الأطفال قد تحلقوا حول سيارة سعيد
شعلان القادمة من السعودية، كانت توزع الرسائل لأسر
المغتربين، لم يكن والدي بالسعودية ولذا لم تصلني رسائل
مثل أولاد عمي.

نقلت زوجة عمي الكراتين التي وصلتها إلى المخزن،
وأغلقتة بالقفل، حتى أطفالها أخرجتهم ونهرتهم قائلة:

-مش وقته.

أخذت الكاسيت المرسل لتسمعه لوحدها في غرفتها،
وحين أغلقت الباب كاد الفضول يقتلنا نحن الأطفال، ترى
ما بداخل الكرتين؟

وتركنا لخيالنا العنان، أكيد فيها ملابس وهدايا وألعاب
.999.

قال صهيب ولد عمي:

- تريدون معرفة ماذا قال أبي لأمي في الشريط تعالوا
بعدي.

حملنا البرميل الفارغ الذي نلعب به إلى تحت النافذة
ثم صعدنا عليه بحذر، كانت عمتي تستمع لصوت عمي
وتبكي بحرقة.

فوجدنا ببكائها فتجمدنا مكاننا، لأول مرة نسمعها تبكي.

وفجأة أوقفت الكاسيت قائلة :

- تقفون لتسمعوا؟ بعيني لو فاتت لكم.

قبيل المغرب علقنا الزينة العجيبة التي أرسلها عمي،
كانت قناديل صغيرة ملونة بألوان مختلفة، وحين شغلنا
مولد الكهرباء ووضعنا طرفها في الكبس انطلقت الأضواء
تراقص وتتلون ونحن في غاية الدهول والدهشة.

بعد المغرب وحين تحلقنا للعشاء قالت جدتي:

-هاتوا الراديو نسمع هل رمضان غدا أم بعد غدا؟

بعد العشاء أعلنوا في الإذاعة أن غداً أول أيام شهر رمضان فتعالت أصوات الفرحة، سيظل المولد يشتغل إلى الفجر وسنظل نلعب طيلة الليل.

جاءت عمتي وهي تخفي حزنها وسلمتني الجواب :

-أقرأ جواب عمك.

تحلق الجميع حولي، وفضضت الجواب بأيدي مرتعشة
وبدأت أقرأ :

-بسم الله الرحمن الرحيم الوالدة العزيزة آمنة.

وأجهشت جدتي بالبكاء فارتبكت وتوقفت عن القراءة،
فيما سارعت أُمِّي وعمتي إلى تهدئتها وهن يقسمن أن عمي
سيعود قريباً، واصلت بكائها قائلة :

-له أربع سنين وهو يكذب علي، متى سيرجع؟ بعد أن
أموت؟

-ربنا يطول بعمرِكَ يا جدة

صحننا كلنا بصوت واحد.

هدأت جدتي فواصلت القراءة :

الزوجة الغالية حبيبة القلب فاطمة

وأجهشت عمتي بالبكاء.

وعادت جدتي وأمي لمواساتها.

قالت لها جدتي :

-معك شريط تسلي نفسك بسماع صوته.

وأضافت :

-لم يستطع تسجيل لأمه شريط لتسمع صوته مثل

زوجته؟!

واصلت القراءة:

الأخ الشقيق الركن الوثيق عبد الحميد، الأخت جميلة (أمي)، الأولاد جميعا (وذكر أسماءنا كلنا). أنا بخير وعافية مشتاق لكم، والغربة كربة وتعب وعز القبيلي بلاده، أتمنى أنكم ما أهملتم الأرض، وأن الأولاد جميعا يذهبون إلى المدرسة، ويهتمون بدروسهم فالعلم نور، لا تغضبي مني يا أمي فأنت تاج راسي، وأتمنى أن تكوني بخير وراضية عني وتدعي لي، وإن شاء الله أعود إليكم بالعيد الكبير، وسلامي للجميع .

عند رؤيتهم لقناديل الزينة جاء كل أطفال المنازل
المجاورة للعب معنا تحت أضواء الزينة.

في اليوم التالي جاءت عماتي لقضاء أول أيام رمضان
عندنا، حتى عمتي كرامة جاءت رغم أنها حامل، كانت تمشي
ببطء وتئن، وبطنها منتفخة مثل كرة كبيرة.

وانضم إلينا أولاد عماتي، وتحول منزلنا إلى مهرجان
كبير.

بعد أيام أيقظتني أمي من نومي قبيل الظهر قائلة:

-روح الآن مثل البرق إلى سعيدة يوسف في الظهرة.

-ليش ليش؟

-عمتك تكاد تلد، وسعيدة يوسف هي من تولد النساء،
تحرك.

مضيت بين المنازل المقفرة، لا أحد يتحرك سوى
بعض الأطفال الذين يلعبون.

طرقت باب سعيدة يوسف، الأرملة التي تسكن وحدها
لكنها لم تجب.

عاودت الطرق حتى استيقظت:

-عمتي تلد؛ قالت أمي تعالي بسرعة.

- ما جاءتها الولادة إلا الآن؟! -

وعدتُ تتبعني سعيدة يوسف، وعند باب منزلنا سمعت
صراخ المولود، واستيقظ الجميع وبدأ المهرجان.

في حفلة طهور المولود جاءت نسوة كثيرات لكن أُمي
نادتني وأشارت إلى إحدى النساء قائلة:

-سلم على عمّتك مريم.

-عمّتي مريم؟! -

أول مرة أسمع أن لي عمّة اسمها مريم!

-هي أخت أبوك من الرضاعة.

جلست بجوارها، كانت رائحة الكاذي والمشقر البلدي
تفوح منها.

انتظرت أن تعطيني نقودا لكنها لم تفعل.

وحين طال انتظاري بدون جدوى سألتها:

-أنتِ عمّتي؟ -

-أيوه

-ها تي لي 100 ريال.

صاحت أُمِّي:

-اخرج يا ولد.

ضحكت النسوة، ومدت عمتي يدها إلى جيبها وأعطتني
50 ريالاً.

كدت أغادر الغرفة فرحا بالنقود لولا أن رأيته تناول
جدتي قارورة قائلة :

-هذا ماء زمزم لك يا والدة.

خطفت القارورة من يد جدتي، طاردتني أُمِّي لكنني
عدوت سريعاً، وحين ابتعدت بسملت ونويت حفظ القرآن
وشريت الماء كله.

مرت أياماً، ثم أسابيع وأشهر، وأنا انتظر حدوث
المعجزة الذهنية العجيبة، حيث سيقوم الماء المبارك الذي
شربته بتنزيل المصحف كاملاً في ذهني دون أن أفتح
المصحف أو أحفظ بنفسي. حتى صفحة واحدة، لكن شيئاً
من ذلك لم يحدث!



كابوس اليقظة!

يعود الأطفال من المدرسة إلى منازلهم لكني أتوجه إلى المزرعة مباشرة، أضع الحقيبة في ركن العشة المطلة على المزرعة، أظل أراقب بيتنا بانتظار الغداء الذي سيرسلونه إلي.

وحين يشتد جوعي أنزل إلى المزرعة باحثاً عما يسد رمقي من ثمرة البابايا " العنبة " أو الموز، أي شيء، أحياناً عندما لا أجد شيئاً أذهب إلى شجرة السدر أرشقها بالحجارة فتتساقط ثمارها " الدوم "، وأظل أتسلى بها.

أرفع رأسي إلى السماء، الشمس لا تزال حارقة ولم تمل للغروب بعد، كأنها تعاندني، تمر سيارة في الطريق المجاور أشيعها بنظراتي حتى تختفي، تأتي الخرفان فأبعدها عن المزرعة برشقات من الحجارة، أفرغ غضبي عليها، أحياناً أصيبها بحجر فتفر ولا تعود ثانية.

يمضي- نهاري طويلاً مليئاً بالكآبة، كأنني سجين هذا الوادي، أعود إلى العشة أراقب بيتنا بعيون صقر جائع، أراهم يدخلون ويخرجون، يعيشون حياتهم بشكل عادي وكأنني لست منهم، وكأنهم قد نسوني!

بعد العصر- تتحرك أختي باتجاه المزرعة، تحمل قنينة الماء الكبيرة لتملئها من البئر، وتحمل وعاء الأكل.

لقد تذكروا كلبهم أخيراً!

تقترب مني فأكاد لشدة غيظي أرشقها بالحجارة لكنني أسرع إلى الأكل، أفتح القصة وألتهم الطعام بشراهة، تذهب إلى البئر وتعود، تقف بجواري تريد أن تقول لي شيء، أتوقف عن الأكل، أنظر إليها..

_ ماذا تريدان؟

تتلكأ ثم تنطق أخيراً:

_ أريد قات.

_ لكن أبي...

_ اقطف لي حزمة صغيرة ولن يعلم.

أمضي- معها إلى حقل القات، أقطف لها حزمة صغيرة، ترمقني بنظرة مستجدية:

_ هذه لن تكفي لساعة.

أعود وأقطف لها حزمة ثانية وثالثة، تقترب مني وتخرج كيس الحلوى الهريسة وتناولني إياه، يسيل لعابي، أتركها تقطف عدة حزم أخرى وتمضي.

تعود إلى البيت ثم تسوق الأغنام ناحية التلال، تخرج صديقاتها من بيوتهن بأغنامهن، يلتقين، يمضغن القات ويتحدثن.

في المساء نفزح حين نسمع صراخها وهي تتقيأ:

_ دم، أتقيأ دما، سأموت.

يصرخ والدي:

_ ماذا أكلت؟

أجري نحوه:

_ قات، قطفت لها من قاتك.

_ يصفر وجهه:

_ القات مسموم.

يسألني:

_ هل خزن أحد معها؟

_ بنت سالم وبنت عمي علي وبنت صالح.

يسرع الوالد إلى الجيران، بعد دقائق تأتي السيارة، تستعد أمي لتذهب معها، يخاطبها أبي بجدية:

_ اجلسي في البيت حتى أعود.

تذعن لأمره.

ينقلون البنات إلى المستوصف وتظل أمي تصيح في وجهي:

_ بنتي ستموت بسببك.

لقد صرت المتهم!

أقسم لها الأيمان المغلظة أنني لم أكن أعلم أن القات مسموم، تظل تصيح وتلومني وتوبخني.

أقول في نفسي:

_ ليبتها ضربتني حتى تورمت بدلا من هذا الكلام المؤلم.

تقوم تصلي وتدعو الله أن تنجو أختي من الموت.

يمر الليل بطيئاً ونحن في فزع، تتجمع النسوة، في وجوههن خوف على البنات، يندرن بصيام شهر إن شفين.

أذهب إلى الأكمة المجاورة لمنزلنا أرقب عودة السيارة بالبنات، يلسعني البرد، أرى ضوء السيارة يأتي من بعيد، أسرع إليهن:

_ رجعوا من المستوصف.

يخرجن إلى جوار البيت، ونظل ننتظر وصولهن لكن
السيارة تخيب آمالنا وتمضي بعيداً.

يعدن للدخل وأظل بالأكمة أنتظر عودتهن، في قلبي
خوف من المصير المجهول للبنات، لقد طار نومي والليل
قد أنتصف، أنظر إلى النجوم وأضواء الكهرباء في القرية
المجاورة التي أغلب سكانها من المغتربين.

كنت شاردًا حين مرت بجواري أفعى وما إن رأيتها حتى
قفزت صارخا وعدت إلى الداخل ألهث:

_ حنش.

تضميني أمي إلى صدرها وتهديء من روعي وتسقيني الماء.
تأتي إلي بالطعام، بقايا الأزر والبطاط المسلوقة، وتقدم
الكعك والشاي للنسوة.

فكرت بالعودة إلى الأكمة لكنني تذكرت الحنش
فخفت، بعد ساعة تشجعت وخرجت إلى جوار البيت
أنتظر عودتهن، القمر يطل بنوره بعد أن تجاوز تلك
السحب الكثيفة، شهاب شارد توهج ثم انطفأ، حتى أضواء
الكهرباء في قرية المغتربين انطفأت، لست أدري كم كان
الوقت حينها لكنني تخيلت البنات يعدن من المستوصف
وقد فارقت الحياة، ستتحول المنطقة إلى مآتم كبير.

لأول مرة ستخرج في قرينتنا أربع جنازات دفعة واحدة،
والمشكلة أنني السبب!

ماذا سيفعلون بي حينها؟!

لن يصل الأمر إلى قتلي أو سجني، لكنني لن أسلم من
تأنيبهم ولومهم وتوبيخهم لسنوات طويلة.

سأراهن في منامي كل ليلة، وجوههن مخيفة وأشداقهن
مليئة بالقات، ستغدو حياتي كوابيس متواصلة.

ستقتلني تلك النظرات القاسية والكلمات السامة من
الجميع، ليتهم يحبسوني، على الأقل سأرتاح من الدراسة
وحراسة المزرعة، وسأنجو من لومهم وتأنيبهم.

قبيل الفجر رأيت أضواء سيارة تأتي من بعيد، لم أذهب
لأبلغهن فقد تكون سيارة أخرى، انتظرت حتى اقتربت،
وحين رأيتها تدخل قرينتنا أسرعت أخبرهن:

_ رجعوا من المستوصف.

تجمعنا كلنا نستقبلهن.

في البداية نزل الوالد وحين رأى فزعنا صاح فينا:

_ البنات بخير، قدر الله ولطف.

أسرعت النسوة إلى السيارة يتفقدن البنات، وحين رأيت
أختي تمشي- ببطء وهي تتوكأ على أي أنزاح عني ذلك
الكابوس الذي جثم على صدري، فرحت كأنني وجدت كنزا
فيه ميزانية دولة.

ظلت أختي لأيام طريحة الفراش ثم بدأت تتعافى.

عدت إلى المزرعة لكنني بقيت اتحاشى الذهاب إلى
حقل القات، كرهت القات، وما يزال في ذهني مرتبّطًا بالسّم
وبلبلة من الخوف والفرع وكوابيس اليقظة.



الفخ الذهبي

خفق قلبي من الفرحة حين رأيت ذلك القلم الذهبي
الفاخر في طريقي!

نظرت أمامي وخلفي، لا أحد، أخذته ومسحت بعض
التراب الذي علق فيه ووضعتَه في جيبي.

ورغم فرحي به فقد داهمني تساؤل مخيف :

_ ماذا لو أن هذا القلم يحتوي قنبلة صغيرة أو
متفجرا؟!

أخرجته وفتحته ثم كتبت به على يدي فتدفق الحبر
الأسود، لقد اطمأن قلبي.

جاءني اتصال من صديق، بقينا نتحدث حتى نسيت
القلم.

قبيل منتصف الليل بدأت أحك يدي ثم تزايدت الحكمة
بشكل غريب، نظرت إلى يدي فإذا هي محمرة وقد بدت
تتورم!

تذكرت القلم.

أخذته بخرقة ثم اتصلت بطبيب صديقي، أخبرته بقصة القلم فأشار علي بالذهاب إلى طبيب جلدية فورا فقد يكون القلم مسمومًا.

سألته :

_ أين سأجد طبيب جلدية في هذا الوقت؟

صمت قليلا ثم قال:

_ لا تخف قد يكون صاحب القلم مصابا بحساسية، انتقلت إليك بالملامسة، خذ مرهما مهدئ، إذا تواصلت الحكة إلى الصباح اذهب للطبيب.

ذهبت إلى الصيدلية أخذت مرهم ودهنت به يدي، خفت الحكة، لكن الورم واصل انتشاره، يدي تثقل ويزداد الورم فيها بشكل مخيف.

أصبت بحمي شديدة وغثيان، تقيأت كثيرا.

فمي جاف ولساني كأنه خشبة، واجتاحني عطش شديد، أشرب ولا أرتوي.

ليت يدي قطعت ولم تمتد لهذا القلم المسموم، لقد نصبوا لي فخا ذهبيا بعناية، اغتيال نظيف!

حين عدت من الحمام لمحت وجهي في المرأة، لقد تورم هو الآخر وصار ككرة حمراء، ظهرت فيه بقع سوداء، ثم بدأت تنتشر في كل جسمي والورم يتواصل.

يبدو أنها ليلتي الأخيرة!

وكمقاومة أخيرة قررت أن أذهب إلى القاضي الذي يسكن في الطابق الأعلى لينقلني للمستشفى.

الوقت متأخر لكنني مضطر، سأذهب إليه وليكن ما يكون.

طرقت الباب بقوة ثم سقطت في غيبوبة، ولم أعد أذكر ما حدث.

في ظهر اليوم التالي أفقت في عالم آخر.

جسدي المتورم ممدًا على فراش بسيط على الأرض في منزل قديم جدرانها من الطين وسقفه من أعواد الشجر، لا أحد بجواري.

أدركت أن جارنا القاضي جاء بي إلى هنا حتى أموت بعيدا عنه، لا يريد أن يلبس تهمة، هو قاض ويعرف القانون جيدًا وقد أحتاط لنفسه.

حاولت التحرك لكنني لم أستطع، أجمعت كل قواي لأصرخ لكن دون جدوى، كل ما قدرت عليه هو :

_ آآآه

لساني ثقيل، لقد صرت عاجزًا عن الحركة والنطق
لكنني ما زلت أرى وأفكر.

_ هل هذا هو الموت؟

تفكر وترى كل شيء وتعجز عن الحركة

عندما أقبلت امرأة عجوز وثلاثة شباب يحملون قدورا
مغطاة فرحت، لقد تأكدت أنني لم أمت، لا لن تكون هذه
حورية، ولا هؤلاء من غلمان الجنة، سأظلمهم أيضا إن قلت
انهم من زبانية النار، ابتسمت العجوز قائلة :

_ أنت بخير، علاجك سيأخذ بعض الوقت.

وأضافت:

_ لا تتوتر ولا تخف، عليك أن تهدأ، وأذكر الله كثيرا
وأطلب منه الشفاء.

ظننت أنهم جاؤوا بالطعام لكنهم نزعوا ملابسهم،
دهنت العجوز جسمي بمادة خضراء لزجة، ثم وضعت فوقني
غطاء خفيف وتركوني ومضوا.

أحسست بجسمي يبرد كأنني في ثلاجة، لقد ذهبت
الحكة والحمى والصداع، لكنني ما زلت أشعر بأن جسمي
ثقيل ولا أستطيع أن أحرك حتى أصبع يدي.

لقد فرحت بأنني ما زلت على قيد الحياة، وأني سأعالج
من ذلك السم الغريب، لكن أين أنا؟ ومن هذه المرأة؟

قطعت تساؤلاتي عودة العجوز ومعها امرأة أخرى
أجلستني، ثم سقتني العجوز ببطء كأساً من الحليب ثم
خرجن.

بعد ساعة عادت العجوز ومساعدتها بكأس من
الأعشاب الخضراء لأشربه، كان مرًا لكنني تجرعتة، لوجاءتني
هذه العجوز بأي شراب حتى ولو كان بول بقرة لشربته، أريد
أن أتعافى بأي شيء!

كانت عيناى تحمقان بالسقف حين مر عنكبوت،
تابعته حتى غاب عن عيني، بعد دقائق عاد وبدأ ينسج
خيوطه فوق رأسي تماما.

عند الظهيرة جاءت بقرص عسل وعليه النحل، تأخذ
النحلة وتضعها على يدي فتلسعني وتموت، عشر- لسعات
كل يوم، وفي اليوم العاشر بدأت أتحدث وأتحرك.

قالت لي:

_ عندما جاء بك القاضي كنت شبه ميت، تتنفس ببطء، كان قلقاً مذعوراً قال:

_ هذا الرجل جارنا وقد رمى نفسه بباب بيتي، يبدو أن هناك من سممه، أو من يريد أن يلبسني تهمة قتله.

هدأت من خوفه ووعدته أن أعالجك.

وأضافت:

_ القاضي صهري زوج بنتي.

شكرتها ودعوت لها وبعد أيام بدأت أمشي ببطء.

لقد تعافيت بفضل الله، ثم بعلاج تلك المرأة نجوت من الموت بأعجوبة.

حينما عدت ورآني الطبيب صديقي صعق وقال وهو غاية الارتباك والدهشة:

_ أكيد تعالجت في ألمانيا؟

وأضاف:

_ مش معقول أن عندنا مستشفيات حديثة تعالج ذلك السم الخطير.

قلت له :

_ تعالجت في دولة أحدث من ألمانيا، لقد تعالجت في
ريمة!

لم يصدق صديقي الطبيب القصة التي أخبرته بها، لقد
أقسم أنني أمزح، وما يزال يصر- حتى اليوم أنني ذهبت إلى
ألمانيا للعلاج.



نهاية الأحلام!

لم يصدق عبد السلام أحمد ما رآه بعينه!
فرك عينيه ثم تحقق مرة أخرى فإذا بالبئر التي لم
يكمل حفرها في العام الماضي قد صارت مليئة بالنفط!
مد يده فتأكد من السائل الأسود، الفرحة التي غمرته
جعلته يجري نحو منزله وينادى أولاده ليهرع الجميع إلى بئر
النفط.

واحتار ماذا يفعل:

_ هل يبلغ السلطات أم يكتفم الخبر ليستثمر هذا النفط
لمصلحته فقط؟!

_ وإذا بلغ هل ستعطيه الحكومة حصة منه أم أنه لن
يستفيد شيئاً؟!

_ لكن كيف يستثمره لوحده؟!

النفط يحتاج شركة بأجهزة وفريق كبير وو

وقطع نجله تساؤلاته بالقول:

_ لابد من إبلاغ المديرية.

أقنع الجميع بضرورة إبلاغ السلطات فمهما حصل سيكون لهم من النفط نصيب، على الأقل سيتم توظيفهم بشركة النفط وهي تدفع بالدولار.

بعد ساعات كانت أربعة أطقم من المديرية قد فرضت طوقاً أمنياً على البئر ومنعت الاقتراب منها.

أبلغ مدير المديرية المحافظ، ولكي يأخذ الأمر بمحمل الجد فقد بالغ حتى جعلها آبار من النفط، وبدوره أبلغ المحافظ الصحافة التي بدورها زادت على الشبر أذرعاً، وهكذا لم يأت المساء حتى توافد المئات من أبناء المناطق المجاورة إلى المكان.

ولأنه لا يوجد فنادق ولا مطاعم فقد ذبح عبد السلام أحمد رأسين من أغنامه وجهاز العشاء للعساكر ولمن حضر من الشخصيات الهامة.

قام عبد السلام وأولاده بخدمة الناس بكل حب وسرور تداعبهم أحلام الثراء والمناصب، قال لنفسه:

_ لن أرضى بأقل من منصب مدير فرع الشركة و10 ألف دولار راتب وسيارة آخر موديل و20% من حصة البئر للمنطقة بإشرافي.

أبلغوه بأن المحافظ سيأتي في اليوم الثاني لرؤية بئر النفط، سيأتي ومعه الصحافة والتلفزيون طبعاً، وعليه فلا بد أن يستعد.

من الصباح الباكر لبس أفضل الثياب لديه، أرسل أولاده لبيع مجموعة من الأغنام، وشراء المواد الغذائية، وقام بذبح مجموعة أخرى لغداء المحافظ.

أتصل ببعض أقاربه الذين جاؤوا ونصبوا خيمة كبيرة وفرشوها.

انتظر الجميع وصول المحافظ لكنه لم يأت، انتصف النهار ولم يصل، مضى الوقت فهاج العساكر وطالبوا بالطعام تم تقديم الطعام لهم.

عند العصر. سمع الجميع ضجة كبرى ولاحت في الأفق طائرة هيلوكوبتر هبطت قرب المكان ونزل منها المحافظ وحراسته وطاقم كبير من الصحفيين.

لم يصدق عبد السلام أحمد أنه يصافح المحافظ شخصياً، لقد كان يشاهده في التلفاز واليوم يقف بجواره ويتحدث معه!

لقد قرص نفسه عدة مرات حتى تأكد أن ما يحدث له حقيقة وأنه لم يكن يحلم!

أكد المحافظ على ضرورة أن يشاهد بئر النفط أولاً ثم يتناول الطعام بعد ذلك.

بعد مشاهدة البئر وتناول الطعام أنصت الجميع للمحافظ الذي قال:

_ طبعا المادة نفطية لا شك في هذا، ولكننا...

صمت المحافظ فصمت الجميع وتطلعوا إليه باهتمام فقال:

_ لكن لابد من نزول لجنة خبراء من وزارة النفط.

ثم أضاف:

_ وزير النفط صديقي، كنت معه في اجتماع قبل شهر، ولولا أنه مسافر خارج البلاد لما تأخر عن الحضور.

أخرج هاتفه وأتصل بنائب وزير النفط الذي أكد على حضوره صباح اليوم التالي وبرفقة لجنة خبراء.

كان عبد السلام أحمد مرتبكا وهو يتحدث أمام الكاميرات عن اكتشافه لبئر النفط، تمنى أن يكون لديه تلفاز حتى يشاهد نفسه في التلفاز وكيف سيبدو؟

في ذلك اليوم توافد المئات لمشاهدة الطائرة التي جاء بها المحافظ، لم يعد أحد يقترب من البئر، الجميع تحلقوا

حول الطائرة التي كان وصولها إلى المنطقة حدثاً لم يسبق له مثيل.

تحولت المنطقة إلى طوفان من البشر- حتى جاء العشرات من الباعة، يبيعون القات والمشروبات والسجائر.

في اليوم الثاني باع عبد السلام أحمد مجموعة أخرى من أغنامه لشراء القات والمواد الغذائية، وذبح ما بقي منها لإطعام العساكر والشخصيات الهامة، لم يعد يهتم أمر الأغنام، لقد جاء زمن النفط والدولارات والمناصب.

قبيل الظهر وصلت طائرة تضم وزير النفط ولجنة من الخبراء، شاهدوا البئر وقاسوا محيطه وقطره ثم ذهبوا إلى الخيمة للغداء.

بعد الغداء قال نائب الوزير:

_ لابد من وجود لجنة فنية متخصصة من شركة النفط للتأكد من المادة.

بعد اتصالات بالوزارة ورئاسة شركة النفط والمحافظ ورئاسة الوزراء تم تكليف لجنة فنية للنزول العاجل إلى المنطقة مزودة بأجهزة كشف وتحليل المواد النفطية.

في اليوم الثالث لم يكن لدى عبد السلام أحمد إلا ذهب زوجته فباعه وأشترى القات والمواد الغذائية

والذبائح والشاي وغيره لإطعام المسؤولين واللجان والعساكر.

قبيل الظهر وصلت طائرة جديدة تحمل اللجنة الفنية التي ستفحص المادة.

شاهدوا البئر وأخذوا عينة من النفط لفحصها، لم يطل الأمر فقد أظهرت النتائج أن العينة عبارة عن مادة الديزل المستعمل " ديزل حارق ".

فكر نائب الوزير، ثم قتل شاربه وهز رأسه قائلاً:

_ بعد الغداء نعيد الفحص للتأكد.

تمت إعادة الفحص فإذا هي فعلاً مادة الديزل الحارق.

صدم أحد الخبراء الجميع حين قال:

_ قد يكون البئر عبارة عن كمية من الديزل الحارق تم سكبها في هذه الحفرة.

شعر أحمد عبد السلام بأن قلبه يكاد يهوي بين قدميه عندما سمع هذا الكلام لكنه تماسك.

وقطع نائب الوزير كل قول:

_ نشفت المكونات إلى براميل فإذا استمر تدفقها فإنها
بئر نفطية، أما إذا انتهت ونضبت وظهر التربة جافة فإننا
سنكون أمام حفرة صبت فيها كمية من مادة الديزل الحارق.

وأضاف:

_ الله يستر، إذا لم تكن بئر من النفط فهي فضيحة
كبرى.

وضحك وهو يقول:

_ من سيسكت صحف المعارضة؟!!

بعد أن تم شفت كمية من الديزل ملئت البرميل الأول
ظهرت التربة جافة.

واصلوا الحفر لأمتار فإذا هي تربة عادية جافة.

تأكد للجميع أنها كمية من الديزل سكبها مجهول في
البئر ومضى.

أحمر وجه نائب الوزير وتوترت أعصابه ولم يدر ماذا
يصنع فوجد نفسه يصرخ بمدير الناحية:

_ تبلغونا أنها آبار نفط تسيل وثروات كبيرة، جعلتمونا
نلغي اجتماعاتنا ونأخذ طائرات من العاصمة ونجي إلى هنا،
وبالأخير يطلع لنا برميل ديزل حارق!

_ طيب لو جاء الرئيس؟!

ظل يرددھا وهو يللمم أغراضه فيما لزم الجميع الصمت.

وأضاف وهو يغادر:

_ المواطن الذي بلغكم يحاكم بتهمة البلاغ الكاذب وإزعاج السلطات، وتعطيل المؤسسات، وتبديد إمكانيات الدولة.

شعر عبد السلام أحمد بقلبه ينخلع ويسقط بين قدميه، لقد انهارت كل قصور أحلامه دفعة واحدة، بعد أن باع كل شيء من أجل أن ينال الوظيفة والدولارات والفيلا وجد نفسه أمام كابوس!

غادرت الطائرات المنطقة، أسرع العساكر فأمسكوا بعبد السلام أحمد ووضعوا الأصفاد في يديه، ثم رموا به إلى الطقم وهو مذهولاً قد أصفر وجهه وتخشب لسانه، غادر الجميع وأنفض المولد عن تلك الكذبة التي شغلت الجميع لأيام!



التحول الغريب!

لم تصدق أزهار محمود حين أخبرتها جارتها أن السيد مقبول عبد الحفيظ يجعل النسوة يرين أزواجهن المغتربين في السعودية، قررت الذهاب إليه فشوقها لزوجها لا يوصف، قريته بعيدة، ولذا فقد غادرت منزلها برفقة ولدها في الصباح الباكر وحين سمعت أذان الظهر كانت قد وصلت يفرس.

سألت عنه وحين وصلت إليه وسلمته قارورة السمن والـ 200 ريال وطلبت منه رؤية زوجها تتمم ببعض الكلمات التي لم تفهمها ونفث على يده ثم فردها أمامها فرأت في راحة يده صورة زوجها بشحمه ولحمه!

حين رأته طفرت دموعها رغما عنها، وتمنت من أعماق قلبها أن يسبقها في العودة إلى البيت، آمنت أخيراً أن مقبول عبد الحفيظ من أولياء الله الذين كشف لهم الحجب!

نحن في الثمانينات حينها لم يعرف الناس خدمة الإنترنت، وهذه الهواتف المحمولة التي جعلت الناس يشاهدون بعضهم وبينهم دول وقارات.

في البداية اشتهر مقبول عبد الحفيظ في قريته بريف تعز، وباسم الطب العربي كتب التمام والتعاويد، والربط بين القلوب، والتفريق، وحساب الغالب والمغلوب، مارس الدجل والشعوذة بكل صورها وألوانها حتى وصلت شهرته إلى مدينة تعز، وعندما قدم العديد من المثقفين والمدرسين بلاغات كثيرة ضده قررت السلطات إرسال حملة أمنية لضبطه.

تم تكليف العقيد عبد العزيز منصور الشهير بـ "الشنب" بقيادة الحملة التي وصلت قبيل الظهر، استقبلهم بحفاوة بينما كان العقيد يهدد ويتوعد بسجن كل مشعوذ ودجال إن ثبت تورطه، تحرك مقبول عبد الحفيظ وذبح الذبائح وأرسل نجله لشراء كمية كبيرة من القات للعقيد والعساكر، بعد أن وزعوا أواني المرق فتح العقيد النافذة التي تطل على عدة قرى وهو يحتسي المرق، تدفق الهواء بنسيم منعش زاد من مزاجه فشرب المزيد من المرق بعدها ذهب للحمام للتبول والوضوء.

وفي الحمام وقع ما لا يخطر له على بال!

بعد أن تبول وتوضأ من ذلك الكوز نظر إلى جسمه وتجمد في مكانه غير مستوعب ما يحدث له.

لقد تحول، نمت له أثناء كبيرة، برزت في قميصه حتى صار شكله الجديد يلفت الأنظار من بعيد، نظر بين رجليه

فلم يجد عضوه التناسلي، لقد وجد أعضاء أنثوية، لقد تحول إلى امرأة ناضجة!

أصفر وجهه وجف ريقه وتصيب العرق الغزير منه، تعوذ بالله مرات عديدة، تحسس جسمه ليتأكد، نظر في المرأة التي في الحمام، لقد تحول فعلا.

لقد فعلها الساحر!

غادر الحمام مسرعا إلى مجلسه أرتدى مسدسه ونادى على مقبول الذي أجابه بكل هدوء واطمئنان، وحينها قاده إلى إحدى الغرف وأغلق الباب خلفه ثم أشهر مسدسه في رأسه قائلا:

_ ماذا فعلت بي يا مشعوذ يا حقير؟

_ ماذا فعلت؟

أجابه ببرود وهو يجلس وكأن شيئا لم يكن!

وأضاف:

_ أنت ضيفي، إذا أردت قتلي أهلا وسهلا، ولكنك ستظل على حالك هذا طول عمرك.

أعاد العقيد مسدسه إلى جرابه ثم خاطبه بلهجة أقل حدة:

_ وهكذا تفعل بضيوفاك؟!

_ أنت وصلت عندنا تشتعل من الحماس، تحن وترعد، قلت في نفسي:

_ سأدعه يعيش هذه التجربة كي يهدأ.

وأضاف:

_ لعلمك أنا جعلت الناس يروك رجلاً عادياً، أنت الوحيد الذي ترى نفسك على حقيقتك الآن لكن..

_ لكن ماذا؟

_ لكن لو أردت كل الناس يروك عروسة شابة حلوة أنا مستعد.

حين تخيل الضابط نفسه وقد تحول من الشنب عبد العزيز إلى عزيمة وكل العيون ترمق صدره البارز وجسمه الذي يتفجر أنوثة، والشباب يعاكسونه، والزلاء يغازلونه لم يتماسك، انهار يقبل رأس مقبول ويديه:

_ أنا لي منعك يا سيد مقبول أبطل هذا السحر ولا تفضحنا بين الناس.

تنهد السيد مقبول قائلاً:

_ حاضر أبشر.

جاء بكوز ماء ثم قرأ عليه كلمات مبهمة ونفث فيه ثم أعطاه له ليتوضأ به.

كان العقيد قد هجم عليه الخوف الشديد فتبللت ملابسه من العرق الغزير، كأنه قد أغتسل بملابسه!

بعد الوضوء عاد إلى طبيعته بأعضائه الذكورية فتنفس الصعداء، وخرج يمسح عرقه وهو غير مصدق ما حدث له.

تناول الغداء ثم مضغ القات عند مقبول إلى قبيل المغرب وغادر بالحملة إلى تعز.

في اليوم الثاني طلبه مدير أمن المحافظة وسأله عن الحملة فقدم له تقريره الذي برأ فيه مقبول عبد الحفيظ من كل التهم التي نسبت إليه.

تصفح مدير الأمن تقريره سريعا ثم رماه إليه قائلاً:

_ ما هذا الكلام يا شنب؟!

وأضاف:

_ كل التقارير الأمنية تؤكد أن الشخص يمارس الدجل والشعوذة وأنت تبرؤه؟!

_ لم أجد أي دليل يدينه، ولم يشهد أي شخص ضده.

أمره بالانصراف إلى مكتبه فقدم له التمام وانصرف.

حين غادر مكتب المدير تذكر ما حدث له فتحسس صدره وتحسس عضوه الذكري وقد دهش مدير مكتب اللواء والضباط الجالسون معه به يخرج من المكتب وهو يمسك عضوه بإحدى يديه واليد الأخرى يتحسس بها صدره!

في اليوم التالي حين علم العقيد الشنب بتكليف النقيب مختار عبد القادر ليقود حملة جديدة ضد المشعوذ مقبول عبد الحفيظ انفجر ضاحكا حين تخيل النقيب مختار ذلك الضابط السمين يشاهد نفسه في الحمام وقد تحول إلى امرأة، قال في نفسه:

_ مختار سمين سيكون جسمه، ما شاء الله تبارك الله.

أغلق مكتبه ثم فتح بنطاله وتأكد من عضوه، ثم نظر إلى صدره، وحين أطمأن على أعضائه الذكورية غرق في نوبة من الضحك الهستيري وهو يتخيل ما سيحدث للضابط مختار.



فرحة

بائع الكتب المستعملة والمجلات القديمة على الرصيف يعرفني من زيارتي له، مؤخرًا صار يدرك مدى شغفي بالأعداد القديمة من مجلة " العربي " الكويتية، خصوصًا أعداد التسعينيات، أعطيته رقم هاتفي، وبعد أيام وصلتني منه رسالة يخبرني بأنه عثر على 13 نسخة نادرة من المجلة، أكدت له بأن يحجزها وسأمر عليه لأخذها.

حين وصلت إليه ألقىت السلام فلم يرد، كررت سلامي فأنتبه ورد السلام وصافحني، أخذت النسخ التي ليست لدي ودفعت له النقود وهممت بالرحيل، لكن شروده الغريب وتجهمه أثار فضولي، قلت له مازحًا :

_ أنت اليوم غير طبيعي؟

تنهد بشدة، ثم اندفع يحكي لي:

_ عصابة من اللصوص صاروا ينهبونني بلا رحمة، كل يوم يمرون علي ويطالبوني بالنقود، وإن رفضت يهددون بطردي من هنا.

_ لكن المؤسسة سمحت لك بأن تباع بجوار السور

_ المشكلة أنهم من حراسة المؤسسة، وكلما جمعت مبلغاً من المال أخذوا نصفه، ذات مرة أخفيت النقود في الكتب والمجلات، لكنهم حين أتوا أخرجوها من بين الكتب كأنهم كانوا يراقبونني بدقة!

واسيته ببعض كلمات ثم هممت بالانصراف، لكنني توقفت وسألت نفسي:

_ لماذا لا أجرب أصنع شيئاً؟!

_ ماذا سأخسر لو حاولت؟!

أعطيته الكيس وأخبرته بأنني سأذهب لمقابلة رئيس المؤسسة ليضع حداً لهؤلاء اللصوص.

ابتسم دون أن يعلق.

من المؤكد أنه كان يسخر مني، فما عسى. شخص مثلي أن يصنع له؟!

دخلت المؤسسة سألت عن مكتب المدير وتوجهت إليه، طلبت مقابلته، قال مدير مكتبه وهو يتصفح هاتفه:

_ المدير مشغول؟

وأضاف:

_ من أنت؟ هل أعطاك موعداً يا أستاذ؟

أخبرته بصفتي وأن القضية شخصية.

كنت أعلم أنه سيدون اسمي وهاتفي على ورقة،
وسيقول لي كعادة مدراء مكاتب المسؤولين :

_ سنبلغ المدير ونتواصل بك.

لكنه فاجأني وأتصل بالمدير ثم هب واقفا قائلاً بسرور :

_ تفضل يا أستاذ أهلاً وسهلاً.

لم يكتف بهذا، بل رافقني وفتح لي باب المكتب.

حين دخلت هب المدير واقفا وصافحني بحرارة وطلب
لي قهوة!

حدثني كأنه يعرفني منذ زمن!

ثم فجأة سألني :

_ خيراً يا أستاذ بماذا تأمر؟

كنت قد نسيت الأمر الذي جئت لأجله!

_ آه بائع الكتب والمجلات القديمة الذي بجوار
المؤسسة يشكو من لصوص يفرضون عليه إتوات كل يوم،
ويقولون إنهم من حراسة المؤسسة.

قاطعني :

_ لماذا لم يأت إلي؟!

_ لم يجرؤ على مقابلتك، هو شخص بسيط جدا.

فوجئت بالمدير ينهض من مكتبه ويأخذ أشياءه.

وجه مدير مكتبه بأن يجمع طاقم الحراسة ويلحقوا به،
وصلنا إلى بائع الكتب الذي هب واقفا وهو غير مصدق ما
يحدث!

أشار المدير إليه قائلا:

_ هل في هؤلاء من طلب منك النقود؟

أشار إلى أربعة منهم:

_ هم هؤلاء

أحمر وجهه وصرخ فيهم:

_ تعيدون له كل ما أخذتموه.

وفورا وجه المدير بإحالتهم للتحقيق واتخاذ العقوبات
بحقهم.

شكر لي زيارتي، وحين صافحني مودعا همس لي:

_ أنا من قرائك ومعجب بما تكتبه.

شعرت بشلالات من السعادة تتدفق في قلبي لأنني
خلصت هذا البائع المسكين من الكابوس الذي جثم عليه.

التفت إليّ قائلاً بتعجب:

_ طلعت مش بسيط يا أستاذ، لك علاقات وسلطة
عند المسؤولين!

لم يدرك أنها جاءت معي هكذا، توفيق من الله لا أكثر،
ظل يحدثني عن نفسه وعن مشاكله وأحلامه وأنا منصت
إليه باهتمام.

الفرح يغمر وجهه.

بعد أن أنهى حديثه أشرت لباص فتوقف، ودعته
ومضيت فيما ظل يلوح لي بيديه مودعا حتى اختفيت عن
الأنظار.



نهاية المسرحية!

بعد أيام من بقائي في الفندق انتقلت للتو إلى هذه الشقة في الفيصل بالقاهرة، ما كدت أستقر وأرتب ملابسي. في الدولاب حتى طرق البواب بابي، سلمني عقد الإيجار وأعاد لي الجواز بعد أن صوره ثم حك رأسه قائلاً:

_ مش عايز حاجة يا أستاذ محمد؟

_ لا متشكر

الشقة أستأجرها صديق لي، وبدوري دفعت الإيجار ودفع هو البقشيش للبواب، لكنه يريد مني أيضاً بعض النقود، دستت يدي في جيبي وأعطيته 150 جنية قائلاً:

_ ما تغلاش عليك.

ما إن تسلم النقود حتى أشرق وجهه بفرحة كبيرة، أغلق الباب ثم جلس على أقرب كرسي قائلاً:

_ سجل نمرتي عندك ولو تحتاج حاجة من البقالة أو المطعم، أو أي حاجة أديني رنة وهاجي لك فوراً.

سجلت رقم هاتفه وشكرته مرة أخرى، نظرت إليه كأنه يريد أن يقول شيئاً لكنه أستأذن وخرج!

أغلقت الباب خلفه وعدت لترتيب الأشياء، أذن المغرب فصليت، وحين بدأت أتجهز للخروج طرق الباب، يبدو أن البواب سيثغلي، ولكني سأضع حداً لتصرفاته، فتحت الباب، امرأة تحمل طفلاً وتجر آخر سألتني:

_ لا مؤاخذه مش دي شقة عادة؟

_ لا مش شقتها.

_ أومال شفتها فين؟

_ مش عارف، أنا ساكن جديد، اسألني البواب.

خرجت إلى الدقي للقاء صديق، وضعت عنده نقودي إلا ألف جنيه أبقيتها معي، بقينا نتحدث وتعشيت عنده ثم ذهبت إلى وسط البلد، اشترت من مكتبة الشروق بعض الكتب ثم عدت.

ماكدت أبدل ملابسي حتى طرق الباب، سألت نفسي:

_ هل ستأتي إحداهن تبحث عن شقة عادة؟

فتحت الباب فأندفع البواب إلى الداخل:

_ مساء الخير

_ مساء النور

_ مبسوط بالشقة يا أستاذ؟

وأضاف:

_ ما يلزمكش أي حاجة؟

_ لو يلزمني كنت سأتصل بك

همس لي كأنه يفشي لي سرا:

_ لو عايز بنت تونسك وتسليك وتبيت معاك بدل ما أنت لوحدك أنا مستعد أجيبها.

_ لا مش عايز.

_ يا جدع هيص وعيش أنت لسه شباب.

أغلظت له القول فانصرف قائلاً:

_ كان قصدي أخدمك.

لم تتركني الزوجة لأقرأ الكتب، أمطرتني برسائل واتصالات بالنت، بعد أن شاهدت الشقة كاملة قالت:

_ حلوة، بس لو كانت على الشارع الرئيسي.

ثم ظلت توجه لي نصائحها، وتحذرنى من بنات مصر.
حتى غلبني النوم.

في اليوم التالي صحت متأخرا، كنت متشوقا لزيارة
سور الأوزبكية الشهير، لقد قرأت عنه كثيرا، وحان الوقت
لزيارته.

في سور الأوزبكية عشرات الأرصفة والمكتبات التي تبيع
الكتب والمجلات القديمة، اشترت بعض المجلات
القديمة والكتب وعدت، وضعت الكتب والمجلات
وخرجت أجرب النصيحة التي تلقيتها من كثيرين عن الحمام
المحشي- في مطعم المنوفي بالفیصل، كانت النصيحة في
محلها، حمام لذيذ جدا.

ما كدت أبدأ ثيابي وأجهز لي قهوة للسهرة حتى طرق
الباب، فتحت فاندفعت فتاة داخلة إلى الشقة تسألني:

_ أنت الأستاذ محمد؟

أدهشتني المفاجأة، تجمدت لساني، بلعت ريقى، ثم
تماسكت:

_ أيوه أنا

_ أنا الشغالة

_ بس أنا ما طلبت شغالة، مين جابك؟

كان الباب لا يزال مفتوحا، وحينها أندفع البواب:

_ أنا جبتها، بنت غلبانة ومنكسرة وبنت ناس أعرفهم،
هتكنس وتمسح وتطبخ وتغسل لك هدومك وكل دا بمية
جنية باليوم.

_ بس أنا مش عايز شغالة

قاطعي:

_ سيب البنت تسترزق يا أستاذ، أسرتها مش لاقين
يأكلوا.

_ حالة أسرتها مش مشكلتي، وبعدين زوجتي ستصل
غدا.

_ خلاص تقعد معاك لحد ما تجي زوجتك.

صرخت فيه:

_ مش عايز حد يقعد معايا

غادرت فهمس لي:

_ خلاص ما تزعلش أديك مشيتها، البنت جاءت من
حلوان على ملا وشها، على الأقل إديها أجرة المواصلات،
اعتبرها صدقة يا أخي.

أعطيته 100 جنيه فلحق بها، أغلقت الباب كأنني
تخلصت من كابوس.

عكر دمي الله يعكر دمه.

لم تمض ساعة حتى طرق الباب، قلت لنفسي:

_ والله لو يطرق الباب للصباح ما أفتح له.

زاد الطرق بقوة وسمعت صوت أجش:

_ افتح بوليس.

فتحت الباب فاندفع خمسة من الأشخاص بملابس
البوليس البيضاء صرخ أحدهم:

_ عندك دولارات؟

_ لا ما عنديش لا دولارات ولا دينارات.

وأضفت:

_ معك إذن بتفتيش الشقة؟

كنت قد رأيتهم في الأفلام والمسلسلات يطلبون الإذن،
أخرج من جيبه ورقة رسمية تفيد بتكليفه بالتفتيش في شقق
الأجانب عن الدولارات المزيفة.

أعادها إلى جيبه:

_ لو عندك دولارات هنفحصها ونجيب لك سند
استلام رسمي تستلم بموجبه دولارات صحيحة من البنك
بكرة.

فتشوا الشقة بشكل دقيق ولم يجدوا شيئاً ثم غادروا.
صباح اليوم التالي حين ذهبت للبقالة المقابلة رأيت
البواب والفتاة بجواره فسألت البقال العجوز:

_ لو سمحت يا عم أنت تعرف البنت اللي مع البواب؟
_ أيوه دي هند بنته.

وأضاف:

_ ليه في حاجة؟

_ أصله جابها أمس لعندي على أنها شغالة من حلوان
بصق البقال قائلاً:

_ تف عليه، أخص منك يا دسوقي يا كلب الفلوس

غلي الدم في عروقي فعدت إليه وأمسكت بتلايبه:

_ مش عيب عليك؟ كل يوم تعمل علي مسرحية
جديدة!

وأضفت:

_ مش حتبطل حركاتك دي؟!_

أرتبك وتلعثم قائلًا:

_ ما أنت طلعت ناصح وما خدوش منك مليم أحمر

_ هما مين يا ظلالي؟_

_ اللي جم علشان الدولارات

_ وكمان دول بتوعك؟!_

حينها أرتفع عندي السكري وفقدت أعصابي فعلا
وشددت الخناق عليه وأنا أصرخ فيه:

_ أنا هلم كل اليمينيين سكان العمارة ونروح لصاحبها
يشوف صرفة معاك يا نصاب،

وفوجئت به ينهار باكيا ويترجاني:

_ أبوس ايدك توبة لو زدت عملت لك حاجة أعمل في
اللي أنت عايزه، أنا غلبان ألم حق الدواء لأمي.

دفعته بعيدًا:

_ وكمان تكذب، روح الله لا يكسبك.

كان بعض سكان العمارة والمارة قد تجمعوا حولنا وهم
في ذهول ودهشة، لقد أعجبهم ما عملته بالبواب، ورأيت في

وجوههم شماتة به بعد أن ظل لأشهر يكذب عليهم بشتى
الوسائل، بينما مضى يمسح دموعه حتى اختفى في قبوه!



نهاية النشوة!

حين غادر منزله صباح اليوم إلى المدرسة لم يكن المعلم أمين محمود قد تناول إفطاره، لحقته زوجته قائلة :

_ الدقيق كمل وكذلك الزيت والسكر.

...

_ اليوم سنأخذ من الجيران لكن ماذا عن الغد؟

وأضافت

_ لو كنا حاسبنا الدكان كنا أخذنا ما نحتاج، لكننا لم ندفع له، وأنت ما جمعت من مبلغ دفعته لبائع القات!

تنهد ثم مضى في طريقه.

المنظمة التي كانت تزودهم بسلة غذائية كل شهر صارت تأتي كل ثلاثة أشهر، والراتب مقطوع منذ سنوات، وليس له مصدر دخل آخر، حتى شقيقه المغترب الذي كان يواسيه بمبالغ بسيطة قطعها بعد شجار نشب بين الأطفال، كأنه كان ينتظر أنفه شيء ليقطع مساعدته!

تكورت الغصة في حلقه، أجتاحه شعور عارم بالحزن
وصل حد رغبته بالبكاء، لكنه تماسك، ومع ذلك فقد سالت
دموعه رغما عنه، رفع يده إلى السماء:

_ يا رب.

في طريقه كان التاجر عبده مسعود قد بدأ مع أولاده
بتناول الإفطار جوار منزله وحين مر بهم أصرروا عليه فتناول
الإفطار معهم ثم ارتشف الشاي بالنعناع، قال في نفسه:

_ هذه بداية جيدة.

أثناء الحصّة الأخيرة جاء الأستاذ عبد القادر وأخبره أن
المغترب الثري حسن قاسم قد دعا أساتذة المدرسة للغداء
والمقيل في منزله فقال في نفسه:

_ الحمد لله فرجت.

في المقيل وبعد تناول الحلويات أعطاه حسن قاسم
أربع حزم من القات الفاخر فأندفع يمضغه وقد نسي-
همومه، تحدث معهم عن مختلف الأحداث والمستجدات
في اليمن والعالم، ولم يدر كيف تذكر أيام الدراسة الثانوية
في مدينة إب بداية التسعينيات، قال:

_ تذكروا يا شباب أيام الدراسة في مدينة إب؟

قاطعہ الأستاذ عبد القادر:

_ نعم نذكر لما فضحتنا بمركز الاتصالات!
وأضاف:

_ اتصلنا بعبد الله حمود للسعودية وناولناه يكلمه
فخاف من الهاتف، فلما ألحنا عليه وسمع صوته وتأكد
منه أغلق السماعة في وجهه قائلاً:

_ قولوا له يخرج من خلف الجدار ويجي يجلس معنا،
لم يستوعب أن الصوت يصل للسعودية!
وضج المجلس بالضحك.

قال الأستاذ حسن:

_ نسيتم يوم وصل السكن وأراد النوم بالليل فقام ينفخ
في قنديل الكهرباء كي ينطفئ؟!
وضحكوا مجدداً.

قال حسن قاسم:

_ يعني عملت عجائب وغرائب في إب يا أستاذ أمين؟!
أجاب الأستاذ عبد القادر:

_ نوادره في إب تحتاج من يؤلف عنها كتاب من 600
صفحة.

ظلوا يتذكرون نوادره ويضحكون حتى أذن المغرب،
بعدها صلوا وبدأوا يغادرون المكان باستثناء الأستاذ أمين
الذي أعجبه الجو وطاب له المكان فتناول العشاء مع حسن
قاسم الذي قال له:

_ سنسمر سويًا وتحدثني عن قصصك المضحكة في
مدينة إب

وظل يحدثه حتى انتصف الليل وهو يضحك ثم ألتفت
إليه:

_ أنا أحدثك ونضحك، ولكن في قلبي هموم لا يعلمها
إلا الله.

_ خير يا أستاذ قل لي عن همومك أنا أخوك.

تلعثم في كلامه ثم أجتاحه الحزن وبدأ يبوح:

_ لنا أشهر بلا رواتب، نفذت المواد الغذائية في منزلي،
اليوم غادرت منزلي دون أن أفطر، صاحب الدكان لم يعد
يعطيني شيئًا، حتى أخي المغترب الذي كان يساعدني شهريًا
بمبلغ بسيط قطعه بعد تشاجر الأطفال!

واساه حسن قاسم:

_ لا تقلق يا أستاذ في الصباح سأرسل ولدي بكل ما
تحتاج إليه من مواد غذائية، نحن إخوة.

فاجأه موقفه فقال وقد ارتبك:

_ لم أخبرك لتعطيني إنما فضفضت لك كأخ.

_ لا عليك نحن إخوة وهذا واجبنا.

لشدة ارتبাকে وإحراجة استأذن وغادر.

كان القمر يختفي خلف سحب كثيف، لكنه يعرف الطريق جيدا لكثرة ذهابه إلى المدرسة.

في الطريق أزهرت أحلامه وجعلته نشوة القات الفاخر يؤسس مشاريع كبيرة ويدير عقارات وشركات، قال لنفسه:

_ لو أن الأزمة تنتهي ونستلم رواتب كل هذه السنوات دفعة واحدة، من المؤكد ستكون ملايين، سأذهب إلى صنعاء وأشتري أرضية في أطراف المدينة وأبني فيلا هناك، فيلا بحوش وبه بستان صغير ومسبح، من المؤكد سيأتي مشتري ويدفع لي مئات الملايين وحينها سأبيعها وأنقل الأولاد إلى شقة للإيجار، بعدها سأعمل في العقارات، أشتري أراضي وأبني عليها فيلل وعمارات وأبيع.

تخيل نفسه في مكتبه الفخم وحوله العشرات من الموظفين وهو الأمر النهائي، هذه هي الحياة وليس تدريس أطفال يوجعوا القلب وبلا رواتب!

الليل يمضي بهدوء، لا سيارة مرت في الطريق، لا صوت
طائر سمعه ولا نباح كلاب من بعيد، فقط هو وحده يمضي.
في طريقه التي لم يعد يشعر بها، لقد كان في عالم آخر،
يسبح في أحلامه وأمنيته، يدير عقارات ومشاريع وشركات،
أبتكر طرقا جديدة للدعاية والإعلان، نافس في السوق
وتفوق على الخصوم، جامل وأشترى الكبار حتى صار ملك
العقار في اليمن!

في البداية شعر بخدر في أقدامه، كأنها تبللت لكنه لم
يبال بها، زاد الخدر وبدأت خطواته تتثاقل كأنه بدلا من
السباحة في عالم العقارات والمال والأعمال يسبح في نهر!

لقد تنبه فعلا أنه يمضي- في نهر، في وادي زبيد، تلفت
حوله، تحسس الماء بيديه، فعلا إنه في وسط مياه الوادي!

قفل عائدا نحو منزله الذي لم يصله إلا مع طلوع
الفجر، وحين دخل غرفته ورأى أطفاله يغطون في نومهم
أيقن أنه قد غادر عالمه الجميل وعاد إلى الواقع التعيس!



عمي طويل العمر!

منذ عرفت نفسي وأنا أنتظر وفاة عمي!

لم أكمل دراستي، ولم أفكر بأن أعمل، فقط أنتظر وفاة عمي لأرث ثروته الطائلة فعمي ليس له زوجة أو أولاد ولم يبق من أسرتنا إلا أنا وهو.

ذهبت إليه مرارا ليدعمني أو ليجد لي وظيفة مناسبة، لكنه نظر لي باحتقار، ثم وبخني وألقى علي محاضرة طويلة حول الكفاح والعمل، وكيف بنى نفسه بنفسه حتى صار من كبار رجال الأعمال؟

أتوسل إليه:

_ أنا ابنك يا عم ادعمني.

_ أنا بريء منك يا فاشل.

ويبدأ التحقيق معي:

_ قل بماذا نجحت؟

_ هل أسست عائلة؟

_ هل لك إنجاز علمي أو أدبي أو إنساني؟!

وتتوالى الأسئلة التي أفضل في الإجابة عنها..

وفي كل مرة أعود من منزله وأنا أتمنى له الموت لكن
عمره طويل!

سبحان الله!

تجاوز السبعين من العمر، يشكو دوماً من أمراض
القلب والروماتيزم والتهاب المفاصل والضغط والسكري،
ومع هذا صحته أفضل من صحي بكثير!

لولا أن والدي ترك لي هذا البيت الذي أجرت الدور
الأسفل منه وأسكن بالأعلى لتشردت ومت من الجوع.

البارحة بينما كنت غارقاً في هواجسي- وأوهامي طُرق
الباب وهذا نادر ما يحدث!

_ من سيأتي بعد صلاة العشاء؟!

فتحت الباب لأجد زميلي في الفشل والضياع نجيب
عبد الغني، دخل وهو يتصبب عرقاً، ثم رمى بالكيس الكبير
وأسرع إلى الحمام.

_ ما هذا؟ هل سرقت أحد المحلات وجئت تختبئ
عندي؟!

_ هذا قات فاخر، الليلة ليلة البراشلة عيال. ...

_ ستظل مجنوناً بالرياضة يا فاشل.

_ ماذا لدي في الدنيا غير القات وحب رويال مدريد؟!

رمي لي بعدة حزم من القات الفاخر وأسرع يفتح التلفاز
ويستعد لمشاهدة المباراة قائلاً:

_ إذا فاز الرويال لك عندي عشاء فاخر في مطعم
الشيبياني..

قاطعته:

_ وإذا فاز برشلونة؟

صرخ في وجهي بغضب:

_ فال الله ولا فالك، لا تقولها رجاء.

_ خلاص سحبت كلامي، أنا أمزح معك.

_ أمزح بكل شيء إلا الرويال.

بدأت المباراة وحينها خرج نجيب عن التغطية، قام من
مجلسه ووقف على رجليه وظل يصرخ في اللاعبين
ويوجههم ويشتمهم، لقد تحمس أكثر من الحكم نفسه!

وعند الهدف الأول للريال في مرمى برشلونة صرخ
نجيب:

_ هدف

وأقبل يعانقني بفرحة وكأنه نال جائزة نوبل!

ومع الهدف الثاني والثالث للريال تهلل وجهه وصار
يغني ويرقص بشكل هستيري، لقد أصيب بفرحة جنونية
قائلاً للاعبين:

_ أقسم بالله تسمحوا للبراشلة يعملوا فينا هدف لأقتل
أبتكم. ثم نزع مسدسه من وسطه وجهزه لإطلاق الرصاص!

لقد جن فعلاً!

الحمد لله. لقد انتهت المباراة بفوز ريال مدريد وذهبنا
للعشاء في المطعم كما وعد.

بعد العشاء فاجأني بقوله:

_ يا أخي اطلب مني أي حاجة؟

_ لماذا؟

_ أنا في قمة السعادة، ولو طلبت مني أعطيك نصيبي في
منزلنا سأوافق.

قلت له مازحا:

_ ولو طلبت منك تقتل عمي هل ستوافق؟

أجاب بدون تردد:

_ سأقتله الآن، فقط أنت تأمر.

وضحكنا..

حمل نجيب قاته ومضى. يحتفل مع الشلة من مشجعي ريال مدريد فأنا لا صلة لي بالرياضة، وعدت وحيدا أفكر بقية ليلتي في حياتي التي ضيعتها بانتظار موت عمي.

_ إلى متى سأظل أنتظر موت عمي؟!

عمري تجاوز الأربعين وأنا لم أتزوج بعد، لا عائلة لي، ولا وظيفة، ولا مهارة أو هواية، لا شيء، حياتي أجلتها حتى يموت عمي وأستلم ثروته!

أكل وأشرب وأنام وأمضغ القات وأشاهد الأفلام الوثائقية ثم أنام وهكذا!

في اليوم التالي بعد العشاء جاءني نجيب، ناولني مسدسه ثم أخرج ماسورة كاتم الصوت من جيبه وركبها في المسدس قائلا:

_ 20 % من ثروة عمك وأخلصك منه الليلة موافق؟

ضحكت قائلا:

_ أنت تمزح معي صح؟!

أجاب بهدوء:

_ والله ما أمزح.

رفضت فكرة نجيب الإجرامية فعمي في النهاية بمقام
والدي، ومهما فعل معي فلن أفكر بقتله فعلا.

في النهاية قررت أن أنسى عمي، وأن أعيش حياتي كما لو
أنه قد مات فقيرا ولم أعرفه، بحثت عن الحاج مسعود،
أحد أصدقاء الوالد وزرته طالبا منه وظيفة.

سألني:

_ هل معك شهادة عليا؟

.....

_ هل درست محاسبة؟

.....

_ هل لديك خبرة في الإدارة؟

.....

_ هل أنت ماهر في قيادة الشاحنات؟

.....

أحسست بالخجل وصمت.

ولأنني لا أجد إلا الأكل والشرب ومضغ القات وانتظار موت عمي فقد وظفني الحاج حارساً في مؤسسته التجارية، أحمل البندق على ظهري وأظل طول الليل ألف وأدور حول المؤسسة وأصيح:

_ من أنت؟ وقف مكانك.

أتحرك وأنا أرتعش من البرد القارس ولا أتوقف إلا للأكل، أو لشرب الشاي لأتدفأ به، لو بقيت في مكاني لتجمدت من شدة البرد، وما إن تطلع الشمس وأنناول فطوري وأسلم السلاح للبوابة ثم أرتمي في الفراش كالميت حتى الواحدة ظهراً موعد الغداء.

وهكذا بقيت لأكثر من عام، كنت أعاقب نفسي. على كسل وراحة 40 عاماً مضت!

بعد عام ونصف من حمل السلاح والطواف ليلاً حول المؤسسة، والصراخ في البرد أشفق علي الحاج مسعود، قرر أنني قد نجحت في الاختبار، ولذا وظفني نائباً لمدير المخازن

الرئيسية، وعندما كلف مدير المخازن بأن يدير فرع الحديد استلمت عمله وأدرت المخازن بأمانة وكفاءة.

ذات مساء استدعاني الحاج إلى مكتبه وسألني:

_ لماذا لا تأخذ إجازة وتذهب لأولادك كبقية الموظفين؟!

_ أنا غير متزوج.

دهش وسألني عن السبب فأخبرته بقصة حياتي كلها بصراحة.

ضحك الحاج كثيرا ثم قرر تزويجي على نفقته، رشح لي إحدى قريباته، وقد تم الزواج بشكل أسرع مما توقعت.

فوجئت يوم عرسي بحضور عمي الذي تفاعل ورقص بحماس في الزفة كأنه لم يذق فرحة منذ عقود، ولعله يكفر عن موقفه مني.

في صباح العرس وبينما كنت أتناول الإفطار مع العروسة إذا باباي يدق بقوة أفزعني، قلت للعروسة:

_ يبدو أن أمك وشقيقاتك قد جنن.

فتحت الباب لأجد محامي عمي يحضني ويجهش بالبكاء قائلا:

_ عمك مات.

وأضاف:

_ تعال احضر إجراءات الدفن واستلم الميراث!

لقد تجمدت مذهولا وأنا غير مصدق موت عمي!

ووجدت نفسي- أترحم عليه وأبكيه بحرقة رغم كل ما

فعله بي!



النجم!

كنت عجلاً أريد النجاة من ذلك الحر الذي جعلني أشعر وكأنني في الحديد وليس في صنعاء، انتظرت حتى وصلت سيارة أجرة، أو مأت لسائقها فتوقف، فتحت الباب ودخلت دون أن أفصله في تكلفة المشوار.

بعد قليل رأيت أن أطف الجو فقلت له:

_ صورتك ليست غريبة علي.

كان قصدي أنني ربما قد ركبت معه ذات يوم.

سره حديثي فقال:

_ أنا نجم يا أستاذ

لم أفهم قصده. ولما رأى استغرابي سألني:

_ هل تشاهد التلفاز؟

_ أحياناً

_ وما قد رأيتني من قبل في التلفاز؟

عصرت ذاكرتي لعلي قد رأيتك لكنها فشلت.

سألته:

_ هل أنت مذيع؟

_ لا

_ هل أنت محلل سياسي؟

_ لا

_ أكيد أنت ممثل؟

_ لا

سألني وابتسامة عريضة في وجهه:

_ تعرف الفنان أحمد الحبيشي؟

_ نعم قد رأيته يغني في التلفاز.

حينها قال:

_ أنا الذي يرقص في أغانيه مع شخص آخر.

ثم سألني مجددا:

_ أمانة ما قد أبصرتني؟!

_ بصراحة لم أعد أذكر .

قال بسرور:

_ إذا شفت أحمد الحبيشي يغني فأنا الذي أرقص.

قالها بزهو وكأنه قدم للبشرية أكبر انجاز علمي!

ثم مضى والابتسامة العريضة لا تزال تتربع في وجهه.



المكافأة الغريبة!

في نهاية مؤتمر "شركات النفط العربية _ نحو تفعيل أسس الشفافية والنزاهة" التي أقامته شركة النفط اليمنية بصنعاء أحسست بخيبة أمل كبرى فقد كنت أتوقع الحصول على مبلغ مالي ضخم كمكافأة، خاصة وأنني الإعلامي الوحيد الذي أستدعي بشكل رسمي لتغطية هذه الفعالية التي شاركت فيها وفود من دول عربية!

وما قوى أملني بالحصول على بمبلغ مالي ضخم تغطيتي المتميزة لفعاليات المؤتمر، والتي أشاد بها الجميع بما فيهم مدير الشركة الذي عاملني بحفاوة كبيرة أخرجتني.

في نهاية المؤتمر استدعاني إلى مكتبه وسلمني حقيبة فاخرة وكرت فيه اسمه وهواتفه فودعته وانصرفت وأنا على يقين أن في الحقيبة مظروف فيه آلاف الدولارات.

ما إن وصلت المنزل حتى أسرعرت أفتح الحقيبة لأفاجأ بأن محتوياتها عبارة عن أقلام ودفاتر وقبعات وميداليات عليها شعار الشركة، وهذا كل ما في الأمر!

_ أين النقود؟!

سألت نفسي- وأنا أرمي بالحقيبة بكل محتوياتها بعيدا
عني!

كدت أتصل بمدير الشركة وأسأله عن المكافأة التي يتم
رصدها عادة لمن يغطي فعاليات المؤتمر لكنني توقفت
وقلت لنفسي:

_ يكفي أنك تعرفت على مدير الشركة وكسبت مودته
وفي المستقبل سوف أستفيد منه بلا شك، كما تعرفت على
رجال أعمال كبار طلبوا مني التواصل معهم وأشادوا بما
كتبتته، فماذا أريد أكثر من ذلك؟!

خلال أيام المؤتمر كنت أحظى بوجبات فاخرة ومعاملة
خاصة، كان المدير يوجه بإيصالي بسيارة فاخرة، كما حجز
لي جناح في الفندق ذات الخمس نجوم الذي تم حجزه
بالكامل للوفود العربية.

_ لقد دلت نفسي كثيرا وتعرفت على شخصيات مهمة
وهذا يكفي.

وضعت الحقيبة في دولابي وغادرت المنزل إلى شلة
الزملاء الذين استقبلوني بحسد ظاهر على وجوههم،
سألوني عن المكافأة وحين أخبرتهم أنني لم أنل سوى حقيبة
بها بعض القبعات والميداليات والأقلام لم يصدق كلامي
أحد!

لقد صدموني بحديثهم:

_ هناك 5 آلاف دولار على الأقل مرصودة لك، لا يضحكوا عليك.

_ ميزانية اللجنة الإعلامية بالمؤتمر لا تقل عن 50 ألف دولار.

_ كل صحفي يغطي فعاليات المؤتمر أقل شيء يشتري سيارة.

_ أنا عندما غطيت فعاليات المؤتمر أثتت منزلي من المكافأة.

صرخت فيهم:

_ أقسم بالله ما استلمت حتى دولار واحد.

أكد الجميع بأنني قد تعرضت لخديعة، وعلى مراجعة إدارة شركة النفط فورًا والحصول على حقوقى.

ودعتهم وانطلقت إلى مقر الشركة، توجهت رأسًا إلى مكتب المدير لكنه كان مغلقا بسبب سفره المفاجئ.

حدثت المسؤول الإعلامى بالشركة عن المكافأة فأبدى استغرابه أنني لم أتسلمها لكنه أشار على بالتفاهم مع المدير حال عودته.

في المساء وأنا أتحمس جيبي وجدت كارت مدير الشركة فأرسلت على هاتفه رسالة عرفته بنفسي. وسألته عن المكافأة، ولم يتأخر رده:

_ أهلا وسهلا يا أستاذ أنا مسافر ومكافأتك في الحقيبة.

أسرعت إلى الحقيبة أنبشها من جديد لعل وعسى. أجد المكافأة المالية لكنني لم أجد بها سوى تلك القبعات والأقلام والميداليات!

أصبت بإحباط شديد فأعدتها للدولاب وغادرت المنزل وأنا لا أدري إلى أين أذهب!

_ ربما أخطأ وأعطاني حقيبة أخرى.

_ يعني ضحك عليّ بتلك الأقلام والميداليات؟!

_ ربما رأى أن إقامتي بالفندق والوجبات والتنقلات هي مكافأتي.

_ يا لسذاجتي!

فكرت كثيرا ثم توصلت لقناعة مفادها: لأنني طيب وعلى نيائي نهبوا حقوقي المالية وأعطوني بدلا منها حقيبة فيها ميداليات وأقلام!

لا بد من العودة إليه مجددا وترك الحياء جانبًا فهذا حقي ولن أستحي في المطالبة به..

كلما أتصل بالمدير أجد هواتفه مغلقة، وكلما أذهب للشركة أجده مسافر أو مشغول، مرة في مؤتمر بالخارج، ومرة في مقابلة مع مسؤول في الداخل، ومرة مسافر لحضور فعالية في مدينة أخرى، ومع هذا لم أتردد في الذهاب إليهم! بقيت أتردد علي مقر الشركة حتى مل مني مدير مكتبه وأخذ رقم هاتفي قائلاً:

_ إذا جاء المدير سوف أتصل بك فلا تتعب نفسك بالمجيء إلينا كل يوم.

ولكي أصدقه أقسم قائلاً:

_ أقسم بالله إذا جاء المدير سوف أتصل بك.

وبقيت أنتظر اتصاله، ولكن دون جدوى حتى شغلت تماما ونسيت الأمر!

في بداية شهر رمضان الماضي سجلت الزوجة قائمة طويلة من الطلبات، كنت مفلسا لكنني قررت الاقتراض من أي صديق حتى تنفرج الأمور، وضعت في ذهني مجموعة من الأصدقاء الذين أبقيتهم للضرورة القصوى، اتصلت بالأول وطلبت زيارته، سألني:

_ هل الأمر طارئٌ جداً بحيث أتفرغ من مشاغلي وتزورني؟

ارتبكت ولم أدري ما أقول، ووجدتني أقول له:

_ لا لامي وجدت الوقت المناسب تواصل بي.

مررت على مجموعة من الأصدقاء، وكلهم كأنهم قد اتفقوا على أن يبدأوا بالشكوى كي لا أطلب منهم شيئاً، أحدهم لم يكتف بالشكوى، بل طلب مني أن أقرضه حتى تتيسر أموره!

ضحكت فتعجب مني، قلت له:

_ أنا جننت كي أقترض منك!

عدت إلى منزل خاوي الوفاض أضرب كفاً بكف، وأسأل الله أن يفرجها علي.

في المنزل بشرتني زوجتي بأن غداً أول أيام شهر رمضان.

وبدلاً من أن أفرح اسودت الدنيا في وجهي، ولم أدري ماذا أفعل؟

اقترحت عليها مازحاً:

_ ما رأيك لو نصوم شهر رمضان هذا العام بشكل مميز؟

_ كيف؟

_ أنت تصومي أنت والعيال في بيت عمي، وأنا أصوم في بيتنا وملتقي في العيد؟

وأضفت:

_ سنتذكر أيام زمان قبل الزواج، كانت أيام رائعة.

_ أنت تمزح صح؟

_ لا والله أنا جاد

_ يعني أخذ العيال وأروح أقول لأهلي:

_ جئت أتذكر أيام الطفولة؟!!

لقد تأزم الجو وانتقلنا من المزاح إلى الشجار.

جمعت بعض الكتب في تلك الحقيبة التي حصلت عليها من مؤتمر النفط، ووضعت قميص نومي وقررت مغادرة المنزل أفضل من البقاء والعراك مع الزوجة.

وحين وجدتي أكاد أغادر أمسكت بالحقيبة قائلة:

_ قسمًا بالله ما تمشي وتتركي مع عيالك نموت جوع.

_ سأسافر إلى إب عدة أيام وأعود بالنقود.

_ والله ما تسافر إلا رجلي على رجلك.

_ لا توجد مصاريف تكفي لسفرنا كلنا، صدقيني سأعود بعد أيام.

أشد الحقيبة بقوة لأخرج فيما هي تشدها إلى الداخل لأبقي، أثناء الشد والجذب تمزقت الحقيبة وفجأة انسكبت مئات الدولارات من جيبها المخفي فنسينا خصامنا وشرعنا نجمعها ونغادر البيت لشراء حاجيات رمضان ونحن لا نكاد نصدق ما حدث!



المظل بالحمام!

بعد ساعة من المطر المتقطع الذي أحال شوارع حارتنا الترابية إلى برك متجاورة من الماء سكتت أصوات الرعود وخرير الميازيب، في هذه الليلة الباردة اجتاحني شعور عارم بالوحشة، لم يزرني أي من الزملاء اليوم ولم أستطع الخروج بسبب المطر، أدندن بأغنية قديمة كنت أسمعها من صديق وأنا أسخن الشوربة وبقايا الأرز فالبرد يأتي بالجوع، كأن أحدهم يطرق الباب، ذهبت إلى الباب فلم أسمع أحدا!

وعاد صوت الطرق لكن ليس بالباب أحدا!

أثناء تناولي الطعام سمعت الطرق لكن ليس على الباب وإنما على زجاج النافذة، أفتح الستائر فأرى رغم الندى حمامة تنقر الزجاج، فتحت النافذة فدخلت وهي تنفض ريشها المبلل وتطير في أرجاء الغرفة ثم تابعت طيرانها في أرجاء الشقة تستطلعها لتعود وتستقر على مكثبي.

قدمت لها بعض الطعام والماء لكنها لم تلتفت إليه!

_ ربما تريد النجاة من المطر بعد تبلل عشاها.

تركتها تطير في الشقة وتستقر مرة على المكتب، ومرة أخرى على الرف ومرة فوق دولاب غرفة النوم.

حين داهمني الجوع مرة أخرى هممت بذبحها وسلقتها،
ستكون وجبة لذيذة دافئة في هذا البرد، جهزت نفسي-
لإعداد الوجبة لكنني حين نظرت في عينها ووجدت تلك
البراءة والسلام الذي يكفي لإخماد حروب العالم تراجعت!

نمت وصحوت ووجدتها ما تزال في الشقة، فتحت
النوافذ لتطير لكنها فضلت البقاء!

_ عجيب!

أتصل بي عبد الغني نجيب زميل الدراسة الذي يعمل في
أحد مراكز الدراسات وحين ألتقينا عرض علي عملاً لم
يخطر لي على بال.

_ نريد من يعمل لنا دراسة ميدانية في وادي عبيدة
بمارب

وأضاف:

_ دراسة حول مواقف الناس وزعماء القبيلة حول
برنامج الحكومة لمكافحة الإرهاب، وكذلك حول ضربات
طائرات بدون طيار أمريكية، عن مواقف الناس من
الإرهاب ورؤيتهم لحله.

_ لا أريد السفر ولا الدخول في دراسات من هذا النوع.

_ هي دراسة ميدانية مدتها من أسبوعين إلى أربعة أسابيع تلتقي بالناس وتستمع إليهم كونك صحفي وستكتب عن هذه القضايا من ثلاثين إلى خمسين صفحة.

اعتذرت له بحزم لكنه فاجأني:

_ المكافأة 25 ألف دولار

_ مش معقول!!

_ يمكنك التوقيع على استلام التكاليف واستلام ثلث المبلغ غدا، وأضمن لك الباقي عند انجاز الدراسة.

كان المبلغ مغرياً وجاء في وقته ما جعلني أقبل بالسفر دون تردد.

عدت إلى المنزل فوجدت الحمامة ما تزال مستقرة فوق المكتب!

في اليوم التالي حزمت حقيبتي وتوجهت نحو مارب.

المفاجأة التي لن تصدقوها أنني فور دخولي السيارة البيجوت التي ستقلني إلى مارب، كانت الحمامة تستقر فوق السيارة، ثم تطير بمحاذاتنا حتى وصلنا!

حين وصلت مدينة مارب " المجمع " أستضافني تجار من البلاد ونسيت قصة الحمامة.

وحين توجهت بعد أيام نحو وادي عبيدة عادت للظهور ومرافقتي!

توجهت إلى منزل الشيخ مبخوت عايض وعرفته بنفسي ومهمتي فرحب بي وبقيت في منزله.

في اليوم التالي أثناء تجوالي في الوادي ظللتني مجموعة من الحمام بشكل غريب لفت أنظار الناس إلي، حيثما أذهب تظللني الحمام!

وبدأت أفكر:

_ هل أنا من أولياء الله الصالحين حتى تظللني الحمام حيثما ذهبت؟!

وانتشر الخبر وتوافد الناس علي، البعض يطلب أن أدعو لولده حتى ينجح في دراسته، والبعض يريد مني علاج مريضه، وكل له مطلب وأنا ألبى مطالب الناس وأنا غير مصدق ما يحدث!

لقد نسيت مهمتي وتحولت إلى ولي من الصالحين يتبرك الناس بي ويقبلون رأسي ويدي، وبعضهم يرمي بنفسه عند أقدامي وأنا مذهول مما يحدث لي!

بعد أيام ذهبنا مع الشيخ إلى مزرعته وفوجئت بأن الحمام قد رحل عني ولم تبق إلا حمامة واحدة ترافقتني!

قلت لنفسي:

_ يبدو أن الله قد نزع الكرامة العجيبة عني!
وبقيت استغفر وأسأل الله أن يعيد لي كرامته فقد
استهواني حب الناس وتقديسهم لي!
وعادت الحمام ترافقني ففرحت من أعماق قلبي لأن
الله رضي عني وأعاد لي كرامته.
بعد أيام أتصل بي أحد الزملاء وتحدثنا عن سفري
لمارب، ثم أخبرته بقصة الحمام فتعجب كثيرا ثم قال:
_ لا تظن أنك ولي، هذه القصة لم تدخل دماغي!
وأضاف:

_ أكيد في حاجة مش طبيعية.
لقد أزعجني حديثه وبدأت أفكر في الأمر بجدية ثم
فاتحت الشيخ في الموضوع فقال:
_ غدا نعرف الحقيقة.
_ كيف يا شيخ؟
_ ولا تستعجل، خلها على الله ثم على أخيك.

حين خرجنا للمسجد لأداء صلاة الظهر ظهرت الحمام
تظللني وإذا بالشيخ يطلق النار بشكل مفاجئ على إحداها
لتسقط أرضاً وتطير بقية الحمام بعيداً، وفوجئنا بأن
الحمامة هي آلة معدنية داخلها كاميرا دقيقة تصور وتسجل!

قال الشيخ وهو يقلب حطام الحمامة:

_ أبوك يا الولد ما ناقص إلا الحمام يتجسس علينا؟!

وخاب أمني في نفسي وهويت من سماء الكرامة والولاية
إلى الفخ الذي نصب لي فغادرت القبيلة فوراً وعدت إلى
صنعاء.

هرعت إلى نجيب فأمسكت بتلابيبه:

_ هكذا تفعلون بي؟!

أقسم الأيمان المغلظة أنه لا يعلم شيئاً وتعجب من
قصة الحمام قائلًا:

_ لماذا سيتجسسون عليك؟ من أنت؟

وأضاف:

_ طائراتهم وأقمارهم الصناعية ترصد كل شبر في وادي
عبيدة ومناطق اليمن والعالم ولا يحتاجون لأمثالك فلا تكبر
الموضوع.

وهدأت قليلا ثم غادرت إلى القرية وإذا بعبد الغني
يتصل بي:

_ أين الدراسة يا أستاذ؟!

_ قصة الحمام جعلني أنسى الموضوع كله.

_ وأنا ما دخلني يا أستاذ بقصة الحمام أو العصافير؟!

وأضاف:

_ أنت استملت المبلغ عهدة بضمانتي فإذا لم تنجز
الدراسة سوف أتحمل أنا المبلغ فهل هذه هي أخلاق
الزمالة؟!

يعني أوفر لك عمل مغربي فيكون هذا جزائي؟!

_ مركزكم منسق مع الأمريكان

_ غير صحيح، وأفرض أنهم يدعمون المركز كغيرهم
طالما وقعت على تكليف المهمة نفذها أو أعد المبلغ.

وعدته بأن نتفاهم حين أعود لصنعاء.

وبقيت في صراع نفسي لأيام:

_ هل أكتب الدراسة التي وعدته بها؟ أم أصر على
موقفي وأجعله يتحمل نتيجة ثقته في؟ ثم ما ذنبه هو؟ ثم

لماذا لا أكتب دراسة بحثية موضوعية كأنها لأي مجلة
رصينة؟

بعد عودتي لصنعاء جاءني نجيب وبعد نقاش طويل
قال:

_ تخيل أن مجلة قد أرسلتك لتلك المنطقة لعمل
استطلاع، ثم أكتب بصدق وضمير وسلمني ما كتبت
وأستلم بقية المبلغ. اكتب كما يكتب محمود ياسين
استطلاعاته لمجلة "نوافذ".

كتبت الاستطلاع وسلمته لنجيب واستلمت المكافأة
حتى لا أورط زميل وضع ثقته في، ثم قطعت صلتي به من
يومها.

بعد أيام عاود المطر هطوله في الليل وفجأة سمعت
النقر على زجاج نافذتي، حين رأيت الحمامة أحسست
بالخوف، إذا فتحت لها فقد تنفجر في فورا، لكن لماذا
سيغتالونني؟! من أنا؟!

وبعد لحظات من التردد فتحت لها فدخلت تنفض
ريشها ثم استقرت على المكتب في مواجهتي نظرت إليها، ثم
ألقيت ما يشبه محاضرة على الأمريكيين عن الإرهاب
وحقيقته، والجرائم التي ترتكب باسمه.

بعدها أحسست بالارتياح لقد أوصلت رسالتي لطغاة
العالم.

وحين داهمني الجوع ولم أجد ما آكله ذبحت الحمامة
وفوجئت بأنها حمامة فعلاً وليست آلة تسجيل وتجسس،
لقد كان مرقها لذيذا ولحمها شهيا في تلك الليلة الباردة!



صدر للكاتب

- 1_ عن محاولتي الفاشلة للوصول إلى القمر - قصص
- 2_ من عجائب تنكة بلاد الخرافات - قصص
- 3_ نحن والحمير في المنعطف الخطير - الطبعة الأولى + الطبعة الثانية.
- 4_ لصوص لكن مبدعون - قصص
- 5_ توبة غريبة - قصص
- 6_ مجنون الفقيه - قصص
- 7_ المصير المنتظر - قصص
- 8_ الأعجوبة - قصص
- 9_ كنز غريب وكبش أسود _ قصص
- 10_ مفاجآت ليلة ممطرة _ قصص
- 11_ ساعات عصبية في ليلة عجيبة _ قصص

12 _ القاضي العمراني رمز التجديد والوسطية في العصر-
الحديث - تراجم .

13 _ قطوف في اللغة والأدب والفن - مقالات.

هنا تحميل جميع إصدارات الكاتب [محمد مصطفى العمراني](#).



روابط مهمة لكل كاتب، ستساعدك
على تنمية مهاراتك الكتابية.



[شروط النشر في دار بسملة للنشر الإلكتروني](#)

[اسأل سؤالك هنا](#)

[اشترك في النشرة البريدية الآن](#)

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا - في محاولة منا لتغذية شريان الثقافة - نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايين من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعددة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشر أعمالها بين القراء والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.



المحتويات



6	الإهداء
7	زمن للبراءة
16	كابوس اليقظة!
23	الفخ الذهبي
30	نهاية الأحلام!
38	التحول الغريب!
44	فرحة
49	نهاية المسرحية!
58	نهاية النشوة!
64	عمي طويل العمر!
73	النجم!
76	المكافأة الغريبة!
84	المظلل بالحمام!
93	صدر للكاتب





بسم الله الرحمن الرحيم
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



bassmabook ✕ @ f
00212771814934 📞 📧
bassmabook@gmail.com